شبكـة المصير

رواية بقلم وليم الخازن

**

ان حالي تختلف عن حال اولئك الذين يجدون الوقت الكافي للمطالعة . فانا ، اليوم ، بعيد كل البعد عن مؤلفات كتاب الرواية العالميين ، ولهذا تراني اذا صدف ووقع بين يدي كتاب اقبلت على قراءته بنهم دونه نهم من يحب الحياة كلها طبق طعام .

والصدف التي اتكلم عليها الان ، هي تلك التي اتاحت لي فرصة التعرف الى كاتب ناشىء عالج موضوعا طرقه من قبل عشرات بل مئات الكتاب ، فالموضوع اذا لا جدة فيه ، ومع ذلك ، استطيع ان اؤكد ان الرواية استأثرت بانتباهي بحيث لم انم الا بعد ان اتيت على قراءة اخر كلمة فيها .

أيعود ذلك الى انقطاعي الطويل عن مطالعة الروايات ، او انني وجدت في مؤلف الاديب وليم الخازن تصويرا واقعيا لفترة خلت من حياتي جاء يذكرني بها الان وبالعواطف التي جاشت خلالها في قلبي ، والافكار التي دارت في رأسي ؟

قد يكون السبب هذا وذاك ، لانني اعتقد ان قراءة رواية وليم الخازن تلذ لاحد اثنين : اما لرجل (او امرأة) متقدم في السن مثلي ، يرى من خلال حوادثه صورة لايامه الماضية ، او لفتى ما تزال تجربته الحياتية جد حديثة ، فهو يطلب الغذاء العاطفي والعقلي في الكتب التي تعرض تجارب الاخرين .

اهذا كل ما في الرواية التي لا اكتم انها اعجبتني ؟ كلا ، فانا ، عادة ، اقرأ السطور لا ما بينها ، ومع ذلك ، اقول انني وجدت في مؤلف وليم الخازن محاولات موفقة لتحليل نفسيات بعض الاشخاص، مع عرض سريع لمشاكل اجتماعية ، واقتراح حلول لها .

قد يكون بين القراء من لا ترضيه هذه القصة بالذات ، او امثالها، ذلك لانه يعاني ما نستطيع تسميته بعقدة العصر ، فنحن اليوم (سنوبيون) نتكلم على الكتب الجديدة كما تتكلم المرأة عن خادمتها ، او عن سائق سيارة الاسرة ، او اي شيء اخر تملكه (لانها في الحقيقة تعتقد ان الخادمة والسائق هما ملك لها) . قد تكون ممن لا يرى في بعض المواضيع اية لذة او اي نفع ، ومع ذلك ، فهي تطرقها في احاديثها لا لشيء سوى ان صاحباتها ، او سيدات المجتمع المرموقات يعالجنها . قد نقرأ كتابا فتجد فيه متعة ولذة عارمة ، ولكن هذا الكتاب ، بالذات ، ليس لكاتب مشهور ، فلا بأس ان هي اغفلت ذكره في مجلسها .

قد يكون في رواية وليم الخازن ثقوب تتناولها العين ، خصوصا اذا جعلنا همنا ، ونحن نقرأ ، ان نفتش عنها . وقد يكون بين سطور الرواية ما يبشر لكاتبها بمستقبل باهر في عالم القصص . ولكن ، لا هذا ولا ذاك يصرفنا عن الغاية الاساسية من النقد ، وهي اولا ، تشجيع المؤلف على المضي في الكتابة ومعاناة التجارب الحياتية لتأتي احكامه مستمدة من الصميم ، وثانيا ، توجيه جمهور القراء الى مطالعة الكتاب الصالح الذي لا تعدل الفائدة التي يقدمها لنا اية فائدة اخرى .

انا لا اطلب من نقادنا ان يهللوا لكل رواية تنزل الى السوق ، ولكنني اود من كل قلبي ، ان يتناولوا باقلامهم المؤلفات جميعها فيدلون عامة الناس على حسناتها وعيوبها لان ليس ثمة كمال على هذه الارض ، قلت عامة الناس ولم اقل خاصته لان الخاصة فريقان : فريق ليس بحاجة الى توجيه ، وفريق اخر لا يطالع ، بل يضرب في بحور من اللذات منهكة للعقل والجسم .

ان كتاب وليم الخازن ليس بسيطا بالمقدار الذي دفع البعض الى التكلم على بساطته ، فهو يبدو غير عميق لسببين : الاول ، كون الموضوع من المواضيع الكلاسيكية ، والثاني ، لان الاسلوب خال من التعقيد . ولكن ، بربك ايها القارىء ، قل لي ما الذي تحسبه بسيطا في الرواية ؟ اهو نوع العلاقة التي قامت بين بطل الرواية حبيب ودلال ابنة شفيق كاسي ؟ لقد تعددت اللقاءات . هل هذا جائز ؟ ما موقف الاهل في هذا العصر من مشاكل اولادهم العاطفية ؟ ما هو موقف المربين منه ؟ يمكنني ان اقول الشيء نفسه عن افلاس التجار ومواقفهم بعضهم من بعض . ان القصص الجانبية في رواية وليم الخازن ليست كما تبدو لاول وهلة ، مجرد روافد لعقدة الرواية ، انها كذلك تلفت النظر الى بعض مشاكلنا ، وتثير تفكيرنا في مواضيع نحسب ان لا اهمية لها .

لذلك كله ، انصح الجميع بقراءة هذه الرواية الصغيرة الحجم ، التي تفتح امام القارىء آفاقا واسعة من التفكير العميق ، ان لم يكن في اثناء قراءتها ، فبعد ان يلقيها من يده (لان طريقة السرد السريع لا تترك له وقتا كافيا للتفكير) .

هذا شيء من اشياء جالت في فكري بعد ان انتهيت من قراءة « شبكة المصير » وكلمة او كلمتين مما قيل فيها .

فؤاد الخوري مخلوف

نقـد وتعريف

تأليف : عبد الله الجبوري

**

(نقد وتعريف) هو باكورة عبد الله الجبوري . ولكنها باكورة منبئة عن طلع وفير ، فهي سليمة اللغة وهي تنم عن جهد ومتابعة

وتحصيل وهي تدل على واسع اطلاع لصاحبها على تراجم الادباء العرب المعاصرين وآثارهم .

وهي فوق هذا وذاك تجاوز الحدود الاقليمية للعراق فتنظر وتمعن النظر فيما كتبه بعض شعراء الجزيرة والشام وتحكم وتدقق الحكم في بعض دواوينهم .

المكتبة العراقية فقيرة غاية الفقر الى هذا الكتاب وامثاله فمن الخير ان نوسع للكتاب الطريق وان نمد لمؤلفه الاكف .

ولكنني اؤمن بعمق ان الجبوري في حاجة الى من يدله على مآخذ الكتاب اكثر من حاجته الى مقرظين ومداحين فان كلمة المدح قد ترضي غرور المؤلف « اي مؤلف » ولكنها لن تنفعه في شيء . وخير له كلمة نقد مخلصة يستفيد منها ويفيد . ان ما ساذكره هنا هو مجموعة ملاحظات على اربعة فصول من فصول الكتاب اخترت التعقيب عليها لاهميتها :

١ ـ فصل (مع الرصافي في اثاره)

اغفل الباحث الفاضل من آثار الرصافي كتابه (الادب العربي ومميزات اللغة العربية في ادوارها المختلفة الادبية) . وهو مجموع محاضرات نفيسة في الادب العربي وتاريخه القاها الرصافي في بغداد وطبعت للمرة الاولى سنة ١٩٣١ وقدم لها المرحوم رفائيل بطي . ثم طبعت ثانية سنة ١٩٥٢ في مطبعة المعارف ببغداد في ١٠٦ صفحات من القطع المتوسط وكتب مقدمة الطبعة الثانية الاستاذ يوسف يعقوب مسكوني .

٢ ـ عراقيات الكاظمي :

ان الباحث وهو يذكر مجاميع الكاظمي الشعرية المطبوعة قد ذهل عن ذكر مجموعة نشرها الزركلي في القاهرة سنة ١٣٤٢ هجرية بعنوان معلقات الكاظمي . كما ذهل عن مجموعة من شعر الكاظمي نشرت في مصر سنة ١٩١٩ بعنوان ـ قصائد الكاظمي ـ . وكان استطراده الى ذكر بعض من طفق ينشر الدراسات الادبية عن الكاظمي غير واضح الغرض فان كان القصد تعرف الكاظمي في آثار الدارسين المطبوعة فقد كان الواجب يقتضي تقصيها حصرا وقد اغفل منها :

١ ـ كتاب (الكاظمي شاعر الكفاح العربي الخالد) ـ عبد الرحيم محمد علي ـ سنة ١٩٦١ .

٢ ـ الكاظمي ـ تأليف مهدي البير ـ بغداد ١٩٦١ .

وان كان القصد تعرف الكاظمي في آثار الدارسين المخطوطة فقد كان يقتضي ذكر كتاب ـ عبد المحسن الكاظمي حياته وشعره ـ للاديب الجامعي محسن غياض والذي نال به الماجستير من كلية آداب جامعة القاهرة في بواكير عام ١٩٦٢ .

٣ ـ فصل (المسرحية في الشعر العراقي الحديث) .

وهذا في الاصل محاضرة القيت في رابطة الادب الحديث في القاهرة ـ نيابة عن كاتبها ـ والاصل المخطوط للمحاضرة ما زال عندي ومن مقارنته بالفصل المطبوع بالعنوان ذاته في هذا الكتاب نجد ان المؤلف قد استدرك بعض ما فاته في المحاضرة وتلك سجية حسنة . ففي المحاضرة كان قد سها عن مسرحية ـ مجنون ليلى ـ للدكتورة عاتكة الخزرجي . كما اغفل مسرحية ـ ثورة العراق الكبرى لعبد الحميد الراضي ولكنه تدارك الامر عندما طبع المحاضرة ضمن كتابه هذا.

ان مرور الزمن بين القاء المحاضرة ونشرها في الكتاب قد اتاح للكاتب ان يتريث في بعض احكامه وان يقيد من اطلاقها :

ففي المحاضرة قال ما نصه : ويعتبر بذلك محمد رضا شرف الدين اول من كتب المسرحية الشعرية في العالم العربي بعد احمد شوقي.

ولكنه في الكتاب قيد هذا الاطلاق فقال ما نصه : ويعتبر بذلك محمد رضا شرف الدين اول من كتب المسرحية الشعرية في العراق بعد شوقي ..

الامر الذي لم افهم سببه هو اصرار الباحث على تجاهل المرحوم عبد الستار القرغولي ككاتب للمسرحية الشعرية . لقد صدرت للقرغولي جملة مسرحيات شعرية هي : (روايات من تاريخ العرب ابو عبد الله الصغير ـ مسرحيات لا فونتين ـ ٣ اجزاء ـ) . وما اظن الجبوري يجهلها فما هو السر الحقيقي وراء تجاهلها يا ترى ؟؟ كذلك فان المؤلف الاديب ذكر ديوان ـ قصائد وبرامج وطنية ـ سنة ١٩٦٠ للشاعر صفاء الحيدري الذي ضم بعض المسرحيات الشعرية القصيرة .

وما دام الباحث الفاضل قد اشار الى مسرحية مخطوطة بعنوان سيف بن ذي يزن ـ للشاعر خضر الطائي . فقد كان عليه تتبع المسرحيات المخطوطة لشعراء عراقيين اخرين وفي مقدمتها ١ ـ مسرحية كلكامش للشاعر المبدع حازم سعيد . ٢ ـ مسرحية شعرية للمرحوم ابراهيم الواعظ لا اذكر عنوانها الان . ٣ ـ مسرحية (عام الفيل) للشاعر عبد الجبار المطلبي والتي مثلت منذ سنوات في بغداد .

لقد ذكر الباحث الصديق ما مفاده ان الاغريق هم اول من ابتدع المسرحية . وهذا غير صحيح علميا اذ اثبتت الكشوف العلمية ان المسرح الاغريقي قد استمد مقوماته الاساسية من المسرح الفرعوني .

وقد ذكر ان مسرحية البخيل ـ شعرية للشاعر اللبناني مارون النقاش . وهذا قول غير دقيق فمسرحية البخيل في الاصل للكاتب الفرنسي موليير وقد عربها مارون النقاش بازجال لبنانية عامية في الاغلب . فهي ليست اذن من الشعر الفصيح . وهي ليست اذن من تأليفه وانما من تعريبه .

واني لاخالف صديقي الجبوري اذ يقول عن فصل المسرحية الشعرية من كتاب الدكتور جميل سعيد المعنون (نظرات في التيارات الادبية في العراق) : كله انتقاد قاس لا نقد نزيه للشعراء الذين كتبوا في المسرحية الشعرية . وهو فصل ممسوخ ..

فالواقع ان هذا الفصل من اعمق فصول الكتاب بل من اجل ما كتب عن المسرحية الشعرية في العراق ـ على قصره ـ وقد كشف عن نظرات نقدية عميقة هي وليدة ثقافة مسرحية واني لاذكر انه قد اثنى على الشواف والقرغولي ثناء عطرا مدللا . وانه في نقده لمسرحيات الراضي اقام الدليل على ذلك .

فمسرحيات المذكور يستحيل تمثيلها بسبب كثرة فصولها ، كما ان اغلب فصولها عار عن الذروة ، بالاضافة لعدم استغلال الشاعر لعوامل التشويق والمفاجأة والصراع استغلالا واعيا . عيب ما كتبه الدكتور جميل سعيد في نظري اغفاله بعض كتاب المسرحية الشعرية كالطائي والصغير فحسب . وبعد : فان عيب ما كتبه الجبوري عن المسرحية في الشعر العراقي انه اقرب الى البليوغرافيا منه الى الدراسة النقدية التقويمية .

٤ ـ (فصل محاضرات عن الشعر العراقي الحديث) .

لقد استاثر هذا الفصل بثلثي الكتاب وهو نقد كتاب (محاضرات عن الشعر العراقي الحديث) التي القاها عبد الكريم الدجيلي على طلبة قسم الدراسات الادبية واللغوية في معهد الدراسات العربية العالية في القاهرة سنة ١٩٥٩ . ولي على هذا النقد الذي استغرق ثلثي الكتاب الملاحظات التالية :

١ ـ ان هذا النقد القيم دار في حلقة ضيقة ، حلقة اغفال الدجيلي لكثير من الشعراء في بحثه . وقد يرد على هذا بان اغلب من اغفلهم (الدجيلي) ليست لديهم دواوين مطبوعة كالسادة : الاثري ـ رشيد الهاشمي ـ الفاروقي ـ عمر رمضان الهيتي ـ شفون ـ الشاويان احمد وعبد الحميد ـ علي الالوسي ـ محمود الوادي ـ محمد حبيب العبيدي ـ ابو المحاسن ـ عبد الحسين الازري ـ جواد الشبيبي ـ محمد ناجي القشطيني ـ ابراهيم ادهم الزهاوي ـ خضر الطائي وحمزة قفطان والحويزي ومحمد سعيد الراوي وعلي الصفير وعبد الحسين الملا احمد والفرطوسي . لكن هذا الدفع مرفوض بسببين:

اولهما : ان الدجيلي اغفل شعراء مبدعين لهم دواوينهم المطبوعة كالسادة : عبد المحسن الكاظمي ـ عبد الغني الجميل ـ الطالقاني ـ محمد الهاشمي ـ البناء ـ الناصري .

ثانيا : ان محاضرات تلقى في معهد عال يجب ان تتسم بالروح

العلمية ، والدقة والاستقصاء اهم خصائصها . وهذا لا يتوفر دون الرجوع الى الدواوين المخطوطة ومجاميع المجلات والجرائد .

الجبوري اذن كان محقا في نقده كل الحق . ولكنه ـ للاسف ـ دار في حلقة ضيقة ـ حلقة اغفال الدجيلي للعديد من شعراء العراق فصار يعددهم ويورد شواهد مطولة من شعرهم . صحيح انه ناقش احيانا بعض اراء الدجيلي ولكنها مناقشات نادرة للغاية . ولعل اجودها نقضة لزعم المؤلف ان الرصافي والشرقي والشبيبي هم من طلاب مدرسة الحبوبي الادبية ..

يمكن ان يقال ايضا ان الجبوري كان يخرج احيانا عن رصانته ورزانته في البحث فيقذف في وجه الدجيلي بالفاظ كنا نود لو انه نزه بحثه عنها : منها على سبيل المثال . قوله : « (اليس عقوقا للادب العربي ـ يا استاذ ـ ان تلوي بوجهك الصفيق عن المرحوم رشيد الهاشمي) راجع (ص ١٤٢) . وقوله (ص ٢٠٠) : « ونحن ناسف اسفا شديدا لان المرحوم ارسطو طاليس لم يدرك الشاعر العبقري ، النقادة ، الفهامة ، الدجيلي ـ ليأخذ عنه (سر الفن في الشعر) وادراك مغازيه وحل احاجية .. ولبدل كثيرا من ارائه في كتابيه القيمين (فن الشعر) و (الخطابة) » . وقوله (ص ٢٠٥) : « وقد حشر متشاعرتين ـ ظلما ونفاقا ـ ضمن فصله آنف الذكر واحداهما متشاعرة لا اود ذكر اسمها لتفاهتها » ..

وقوله (ص ٢٠٦) : « والمتشاعرة الاخرى .. اتفه من رفيقتها .. اثبت لها في ص ١٠١ ابياتا تفوقها بكثير منظومات (ابي الفجل) التي ينادي بها لتنفيق فجله » ..

وقوله (ص ٢٢٩) : عن شعر محمد صالح بحر العلوم (وكلما اجيل الطرف فيه يحضرني القيء فسرعان ما القي به مترحما على الشعر الذي صلب على خشبة اتحاد الادباء العتيد) ..

وقوله (ص ٢٥١) : فالاستاذ الحبوبي ـ ممن اعتنقوا الشعوبية مذهبا في الاونة الاخيرة او ممن جعلوا من انفسهم ذيولا لركب الشعوبيين. وبدخوله اتحاد الادباء ... تأصلت في نفسه جذورها ـ (اي جذور الشعوبية) وراحت تتدفق في مجاري دمائه ..

وقوله : (في الصفحة ٢٣١) : فغفرانك اللهم ـ غفرانك من هذه الاحكام البهلوانية ـ وسلام على الشعر والادب في دار السلام . اذا كان رائده هذا المخلوق ... والمقصود بهذا المخلوق ـ البياتي ـ .

وقد يقول الجبوري ان في كتابنا ـ محنة الفكر في العراق ـ اضعاف هذا الكلام . وردنا في غاية البساطة ـ ان كتابنا كتاب سياسي اما كتاب الجبوري فهو نقد ادبي وشتان ما بين الاثنين ؟؟

وثمة مأخذ اخر : ان الجبوري يؤاخذ الدجيلي لاصداره حكما بافضلية شاعر لانه اصدر هذا الحكم بلا دليل ، ولكنه وقع فيما نهى الدجيلي عنه وآخذه عليه . فالدجيلي قال عن ـ عبد الوهاب البياتي انه يعتبر احسن شاعر وابرز اديب في ميدان الشعر الحر .. ولم يقدم لقرائه الدليل .. فسخر منه الجبوري لانعدام الدليل ثم جاء الجبوري ليقول عن السياب بعد سطور : ومن يختر الحقيقة يجد ان احسن شاعر وابرز اديب في مجال الشعر الحر هو الشاعر العبقري الاستاذ بدر شاكر السياب في الوطن العربي الكبير وليس في العراق وحده . وهو بحق رائد الشعر العراقي المعاصر بلا منازع ..

هكذا قالها الجبوري وبكل بساطة ودونما دليل فوقع فيما نهى الاخرين عنه . واعاد الى ذهني قول القائل : والعائب الامر على غيره وهو به ملتحف الكاهل !!

ولقد انتقد الجبوري بشدة اغفال الدجيلي في محاضراته قصيدتين جيدتين لشاعرين مجيدين عن ثورة الجزائر .. ويصح لنا ان نتساءل ما بال الناقد والمنقود قد تجاهلا معا ديوانا كاملا عن ثورة الجزائر كتبه شاعر عراقي هو الاستاذ (علي الحلي) ونشره بعنوان ـ انسان الجزائر ـ عام ١٩٥٧ ؟ ..

لقد انصب نقد الجبوري على زاوية معينة ودار في حلقة ضيقة وفي راينا ان اهم نقد يوجه لمحاضرات الدجيلي انها :

اولا ـ اغفلت اغفالا تاما دراسة الخصائص الفنية للشعر العراقي في نصف قرن وتطور هذه الخصائص .

ثانيا ـ اغفلت دراسة التيارات الادبية في الشعر العراقي المعاصر.

ثالثا ـ اغفلت دراسة الشعر المسرحي والشعر الملحمي والشعر القصصي ووقف عند لون واحد من الوان الشعر هو اللون الغنائي .

رابعا ـ اتسمت محاضرات الدجيلي بالسطحية فهي عبارة عن تجميع وتصنيف لقصائد قيلت في مناسبات سياسية او اجتماعية معينة . وهذا التجميع وقف عند مستوى التعداد والاستشهاد ولم يرتفع ابدا الى مستوى التحليل والاستبطان والنظر الى النص من الداخل

خامسا ـ جانب الدجيلي الاسلوب العلمي في بحثه في غير موضع واحد . اهم مثال لذلك في نظري : اكثاره من الاستشهاد بشعره في ثنايا البحث ومثل هذا الاستشهاد لا يسوغه دارسو الادب لانفسهم . لانه علامة من علامات الغرور الذي هو آفة البحث العلمي .. على أن الغرور يلمح في مقدمة الدجيلي اذ يقول : « لقد رافقت هذه الحقبة الادبية من يوم ولادتها ، وسيرت هذه النهضة الفكرية بعد ان وعيت غالب ما قيل فيها ... فاني قد سجلت هذه الحقبة الادبية بكل جوانبها واطرافها » .. كما يبدو هذ الغرور المجانف للروح العلمية في مثل قوله (ص ١٣١) : فانا ـ والقائل شاعر تعرفه الاندية الادبية ـ بصفتي اديبا انظم الشعر واجيد فهمه . (وادرك مغازيه وسر الفن فيه) هذا وان البحث العلمي لا يسوغ اقتطاف الشواهد الشعرية من كتب الدراسات الادبية بل يلزم الباحث بالرجوع الى مظان البحث الاصلية وهي دواوين الشعراء في هذه الحالة . اما الدجيلي فلا يكترث بهذه القاعدة ويقتطف اغلب شواهده من كتب التراجم كشعراء الفري وشعراء الحلة والفلسطينيات هذا وان محاضرت الدجيلي جاءت خلوا من فهرس للموضوعات وفهرس للاعلام والامكنة وثبت للمصادر والمراجع مما لا يسيغه التاليف العلمي في زماننا هذا . وبعد فان الجبوري كان محقا في اغلب ما نقد به الدجيلي وكتابه .

هذه ملاحظات عابرة قد اكون مصيبا فيها وقد لا اكون ولكنها في مجموعها لا تقلل من القيمة الرفيعة والجهد البناء في كتاب الجبوري . ان المكتبة العراقية كانت وما تزال تفتقر الى امثال هذه الدراسات التقويمية النقدية التي تلاحق النتاج الفكري اولا باول . واننا لنرجو للجبوري مزيدا من التوفيق في كتبه القادمة فان له من شبابه ودأبه وواسع اطلاعه ما يؤهله لمقام رفيع في عالم الادب والفكر في قابل من الايام .

كرمنشاه

هلال ناجي

صدر حديثا

كامو والتمرد

بقلم

روبير دولوبيه

ترجمة الدكتور سهيل ادريس

طبعة جديدة من كتاب يدرس فلسفة العبث والتمرد عند احد كبار مفكري هذا العصر

منشورات دار الآداب

السعر ١٥٠ ق. ل